كره العرب للحدادة

بقلم الأستاذ مصطفى جواد [بغداد]

كانت العرب تكره الصناعات ، ومن ذلك القبيل « الحدادة »، ولا سيما فى أول الاسلام ، لأنها إلى البداوة أميل ، وعن الحضارة أبعد ، وازدادت هذه الكراهية فى نفوسها ، حينما رأت أن الصنائع من شئون الأمم المغلوبة ، والسيد لا يتدنى عادة إلى شئون المسود ؛ ولاحتقارهم الحداد قالوا فى المثل « إذا سمعت بسرى الثين فأصبح »، وأصله أن الحداد ـ على ما قالوا ـ إذا كسد عمله أشاع أنه يريد الارتحال ، ولكنه مقيم حقيقة ، فبذلك تتذكر الناس ما يحتاج إلى عمل الحداد من أشيائهم ويستعملونه لها، وهذا المثل يضرب للرجل يعرف بالكذب حتى لا يقبل صدقه بل يرد (١) .

وبلغ عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أن أناساً من رواة الأشعار وحملة الآثار يعيبون الناس وينلبونهم فى أسلافهم ، فقام على المنبر وقال : « إياكم وذكر العيوب والبحث عن الأصول ؛ فلو قلت : لا يخرج اليوم من هذه الأبواب إلا من لا وصمة فيه ، لم يخرج منكم أحد » ، فقام المهاجر بن خالد بن الوليد، فقال : « إذاً كنت أنا وأنت يا أمير المؤمنين نخرج » ، فقال عمر : « كذبت ، بل كان يقال لك : يا ثين ابن ثين اقعد » ، فقد كان الوليد بن المغيرة ـ مع جلالته فى قريش وتسميته « ريحانة قريش والعدل والوحيد » ـ حداداً يصنع الدروع وغيرها ، ذكر ذلك عنه عبد الله بن قتيبة فى كتاب المعارف(٢) ، والجاحظ فى المحاسن والأضداد ؛ ومن الذين اشتهروا بالحدادة وارتفعوا بالإسلام « خباب بن الأرت بن جندلة » ، فقد كان فى الجاهلية حداداً يعمل السيوف (٣) .

وبلغ على بن الحسين بن على بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ أن عروة بن الزبير وابن شهاب الزهرى يتناولان علياً جده ويسبانه ، فأرسل إلى عروة يقول : « أما أنت فقد كان ينبغى أن يكون فى نكوص أبيك يوم الجمل وفراره ما يحجزك عن ذكر أمير المؤمنين ، والله لئن كان « على » على باطل ، لقد رجع أبوك عنه ، ولئن كان على حق لقد فرّ أبوك منه »؛ وأرسل إلى ابن شهاب، فقال : « وأما أنت يا ابن شهاب ! فما أراك تدعى حتى أعرفك موضع كير أبيك (٤) » ؛ والكير ـ كما هو معروف ـ منفاخ الحداد، فانظر كيف عدّ الحدادة عيباً ، وجعل الدلالة على موضع الكير مقطعاً لفخره ومجده ، وقال الأخطل يمدح سماكا الأسدى ، ولكنه ذمه :

---

(١) جمهرة الامثال لابى هلال العسكرى ص ٦ . (٢) شرح ابن أبى الحديد ج٣ ص٢٤ . (٣) المرجع المذكور ج ٤ ص ٢٦٣ . (٤) كتاب الصناعتين لصاحب جمهرة الامثال ص ١٣ .

نعم الجير سماك من بنى أسد بالطف إذ قتلت جيرانها مضر
قد كنت أحسبه قيناً وأنبؤه فاليوم طيّر عن أثوابه الشرر

وكل مراده أنه لم يكن حداداً ، ولو اقتصر على البيت الأول لكان ذلك أرفع ، وقال نهشل بن حرى يذم الحداد وخلقه :

وعهد الغانيات كعهد قين ونت عنه الجمائل مستذاق

وسبب ذلك عندهم ، أن الحداد إذا أتى قوماً أحسن لهم الأعمال فى أول أمره معهم حتى يذوقوا منه ذلك فيأتونه ، ولكنه لا يجيد العمل بعد ذلك لهم .

وكراهة العرب لهذه الأعمال ليست من الدين على شىء ، ويوضح لك ذلك قول الإمام على بن أبى طالب ـ فى عهده ـ إلى مالك الأشتر النخعى ـ حينما ولاه على « مصر » وأعمالها ـ ونصه: « ثم استوصى بالتجار وذوى الصناعات، وأوصى بهم خيراً : المقيم منهم ، والمضطرب بماله ، والمترفق ببدنه ، فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق . . . » كما هو مبسوط فى نهج البلاغة .

وإذا عرفنا القراء بهذه الحقيقة لم نجد فى صدرنا حاجة إلى ذكر شواهد أكثر مما قدمنا ، ولا سيما وأن هذه الكراهة زالت عند نزول العرب إلى الأعمال وإيغالها فى الحضارة ، وقد اشتهر فى التاريخ : شعراء ، وفقهاء ، وصوفية ، وزهاد ، وكلهم حداد ؛ والعجيب من القوم كرههم لما لا بد لهم منه ، ولا غنى لهم عنه ، وكانوا يكرهون الحجامة أشد الكراهية ، ولكنهم محتاجون إليها؛ وكنا قد كتبنا فى « لغة العرب » بحثاً طريفاً فى « كره العرب للحياكة » وأكثرنا من أخباره . ؟

[بغداد] مصطفى جواد

[بقية المنشور على الصفحة رقم ٩٦١]

المادة ٧٤ — قانون القصر السلطانى لا يعرض على المجلس لتغييره أو البحث فيه ، وليس فى هذا الدستور مادة يستطاع بها تغييره .

المادة ٧٥ — لا يغير هذا الدستور ، ولا قانون القصر السلطانى ، ولا يحور ، إذا لم يكن السلطان بنفسه ، بل كان نائبه .

المادة ٧٦ — كل الأحكام القانونية ، والقوانين والأوامر السلطانية التى لا تخالف هذا الدستور يبقى معمولا بها .

كل المعاهدات الموجودة ، والتى تعود مسئوليتها على الحكومة، والتى تتعلق بالمصروفات داخلة تحت المادة(٦٧) من هذا الدستور .

(للبحث بقية)

[عليكرة الهند] إحسان سامى حقى